تفسير سورة الاعراف الحلقة 50

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(89)**

ذكر العلامه الطباطبائي: إن التوكل هو إرجاع أمر التأثير الى الله تعالى وحده ان يعتقد الشخص المتوكل أن التأثير في الوجود في كل شيء هو لله سبحانه و تعالى و منحصر عند الله، وذكر محمد مهدي النراقي في جامع السعادات: إن التوكل هو التبرؤ من كل حول وقوة والاعتماد على حول الله وقوته وان لا مؤثر في عالم الوجود إلا الله وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدره ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية، فكل شيء يكون في نظر المتوكل هو الله سبحانه وتعالى.

**البيان**

قوله تعالى:" وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان شاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا" 1) هذا ترق كما مر الحديث سابقا ترق عن إمكان العودة إلى ملتهم إلى الاستحالة مره الحديث عن معنى العوده الى ملتهم وهل هو ممكن وهل يمكن فرضه في النبي شعيب أن يقول لا أعود هل هو كان مشركا الى غير ذلك من التفصيل مر، هنا هذا ترق إلى بيان الاستحالة يعني يقول مستحيل ان اعود الى ملتكم ولكن هذا الترقي نفسه وذكر الاستحالة يقولون من غير اشتراط، مشيئة الله لا يناسب النبي، النبي لا يمكن أن يتفاخر لأنه إذا قال يستحيل ان اعود كأنه نسب الإرادة إلى نفسه وهذا لا يمكن أن ينسب النبي أن يدعي ذلك ولكنه يقيده بمشيئة الله، لذلك قال تعالى "إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما"

2) لماذا هذا التقييد بالمشيئة؟ لأن الهداية والضلال إنما هو بإرادة الله، لا يمكن أن يستمر الإنسان أن يهتدي اولا ولا يمكن أن يستمر في هدايته إلا بمشيئة الله لذلك يقيدها بمشيئة الله سبحانه وتعالى، "إلا أن يشاء الله ربنا" ذكر ايضا الله ربنا اشارة الى الربوبية أن الإيمان الحقيقي ليس هو ما يعتقده الوثنيون من قوم شعيب، قومه يعتقدون بالله ولكن يعتقدون بأرباب متفرقة وان الأرباب المتفرقة هم الذين يؤثرون رب مسؤول عن الرزق ورب مسؤول عن الأمور عن الشر مثلا وعن الخير والى غير ذلك، الاعتقاد بالربوبية حقيقته هي لله سبحانه وتعالى كما أن الخالقية لله" وسع ربنا كل شيء علما" اي نحن كارهون للعودة  لملتكم ولكن لا نعلم بعواقب الأمور ،فربما نظل وننحرف فإننا نتوكل على الله ونرجوا أن يعصمنا الله من الانحراف والضلال فليس بيدنا شيء إلا التوكل على الله سبحانه وتعالى.  قوله تعالى"على الله توكلنا" اشارة الى:

1- التسليم لأمر الله وإرادته واختياره، فهو يقول أنا مسلم لأمر الله تسليما كاملا مطلقا من غير شرط في كل شيء.

2- ايضا يبين على الله توكلنا يخاطب قومه شعيب فيقول أنتم تهددوننا بإخراجها نحن لا نخاف لأننا متوكلين على الله توكلنا على الله ومن يتوكل على الله لا يخاف كما يأتي، أنه التوكل على الله يجعل الشخص قويا يجعله مطمئنا وواثقا من نفسه.

**أركان التوكل**

التوكل له أركان كيف يمكن أن يتوكل الشخص على شخص فما بالك بالله، التوكل والتوكيل له أركان، من أركان التوكل على الله:

1. العلم الإلهي، "وسع ربنا كل شيء علما" لأن الله عالم بكل شيء نتوكل عليه لأنه يعلم بكل شيء، فلا يمكن أن نعتمد عليه في شيء وهو يجهل به هو يعلم بتفاصيل الأمور ،عندما اجعل وكيلا لي في شيء اعتقد انه يعلم تفاصيل ما اوكله فيه، الله سبحانه وتعالى وكيلنا في كل شيء هو يعلم بكل شيء في الوجود.

2. القدرة ربانيه ،اني اعتقد بقدره الله وانه قادر على كل شيء فلا اوكله في شيء ولا تطاله يده لا يتمكن من الوصول إليه،  اوكله في اموري كلها لأنه قادر على كل شيء "ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون " كل شيء تحت قدرة الله وتصرفه.

3. البيان والهداية، اتوكل عليه متى إذا بين لي وجعلني على بصيرة من أمري، من غير بيان  ومن غير هداية لا يمكن ان اتوكل عليه لابد ان اثق فيه ولا بد أن يكشف لي الطريق حتى يحصل هذا الوثوق، قال تعالى "وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون" توكلنا عليه لأنه هدانا سبلنا أوضح لنا الطريق جعل ما نسير فيه في مواجهة المشركين والوثنيين بينا و واضحا فنحن فيه هداية وتوكلنا على الله.

4. الغنى وعدم البخل، نتوكل على الله كما يقول الامام الراحل: من أركان التوكل انني اعتقد بغنى الله انه غني و انه ليس بخيل يستطيع أن يعطي ولا يبخل على أحد.

**فوائد وآثار التوكل**

1) الفوز بمحبة الله، الذي يتوكل على الله يجني ثمار هذا التوكل و يجني فوائد لهذا التوكل، من ضمن هذه الفوائد الفوز بمحبة الله التي هي طريق لكل خير، إذا توكلت على الله فتحت لك الطريق لكل خير كل شيء يكون متيسرا"إن الله يحب المتوكلين" تصير محبوبا لله فإذا احببك الله جعلك قادرا على كل شيء.

2) الكفاية والنصر ، من توكل على الله كفاه الله ما يخاف، كل شيء تخاف منه تكون في مأمن منه قال تعالى:" ومن يتوكل على الله فهو حسبه" لأنه يتوكل على الله فلله حسبه يعني يقف له ويكفيه ، و عن الإمام الباقر سلام الله عليه قال: من توكل على الله لا يغلب، ومن اعتصم بالله لا يهزم.

3) العز والغنى بالتوكل، عن الإمام الصادق سلام الله عليه:إن الغنى والعز يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا، العز والغناء كأنهما يجولان من مكان إلى مكان فمن وجداه متوكلا على الله بقي عنده فصار عزيزا و ظافرا و قادرا وقال عليه السلام: من اعطيه ثلاثا لم يمنع ثلاثه من اعطي الدعاء اعطي الاجابة لذلك أدعو دائما لأن الدعاء ان وفقت للدعاء لا يمكن أن يرد لابد أن يكون بين الدعاء والدعاء اجابه ،ومن اعطي الشكر اعطي الزيادة، ومن اعطي التوكل اعطي الكفاية.

4) الشجاعة والإقدام وعدم الخوف، عن الإمام الرضا سلام الله عليه: من اراد ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله، تريد ان تكون قويا يتوكل على الله يكون قوي، وعن أمير المؤمنين سلام الله عليه قال: كيف أخاف وأنت أملي وكيف اضام وانت متكلي، إذن يكون قويا ولا يخاف.

5) البصيره والوعي بالتوكل، من توكل على الله اضاءت له الشبهات وكفي المؤونات و امن التبعات لانه توكل على الله يا من ذلك كله، التوكل على الله بقدر اعتقاد الشخص التوكل على الله بقدر ما يعتقد الشخص، لذلك تجد التوكل متفاوت من شخص الى شخص، يقال في زمن النبي صلى الله عليه واله ، شخص جاء واوقف ناقته و نزل يطوف بالبيت ثم خرج و يبحث عن ناقته اين ذهبت قال انا اوقفت ناقتي هنا وتوكلت على الله، يقال له النبي صلى الله عليه واله اعقلها وتوكل، يعني اربطها وتوكل، و شخص آخر جاء ايضا عمل كذلك و اوقف ناقته وذهب ثم جاء وقال انا اوضعت ناقتي هنا اين هي؟ توكلت عليك يا الله، يقول السيد دستغيب واذا بها ترجع، يقول هذا توكله يختلف عن ذاك فتوكل من شخص الى شخص يختلف والرتب تختلف؛ توكل الانبياء ايضا يختلف حتى الانبياء يختلفون بل حتى النبي الواحد كما اشير الان الى رتبه ثلاث الانبياء ايضا في توكلهم يختلفون والنبي الواحد قد يختلف من وقت الى وقت، روي عن نبي الله ابراهيم عليه السلام حيث انه امر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفه وقد اوقد النار فعجزوا عن رمي ابراهيم فعلمهم ابليس المنجنيق فرمي به فتلقاه جبرائيل في الهواء فقال له هل لك من حاجه فقال اما لك فلا لك ياجبرائيل فلا ليست لي حاجة حسبي الله ونعم الوكيل فاستقبله ميكائيل فقال ان اردت ان اخمد النار فان خزائن الامطار والمياه بيدي فقال لا اريد و اتاه ملك الريح فقال لو شئت طيرت النار قال لا اريد فقال جبريل فاسال الله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي؛ يعني حتى السؤال درجه من التوكل مع ان ابراهيم سال الله في مواضع مختلفه ولكن في هذا الموضوع حتى سؤال لم يسال، اذن اذكر مراتب التوكل و اختم الكلام:

المرتبة الاولى الثقة بالوكيل: انت عندما توكل شخص في شيء تثق فيه ثقه تامه، انه سوف يعمل ما وكلته في بمقتضى توكيلك هذه ثقة منك في الوكيل، هذه ثقة بالله انك تثق بالله و أنه سيحقق ما تريد هذا توكل على الله ولكنه يقولون اضعف الرتب، لماذا؟ لأنك توكله وانت ملتفت لتوكيلك و انت ملتفت الى اخرين فقط توكله في شيء وتنظر الى غيره ايضا فهي اضعف الرتب.

الرتبة الثانية: انك لا تلتفت إليه يقولون، يقول صاحب جامع السعادات توكله ولا تلتفت له كلطفل مع امه الصغير جدا مع امه يعتمد عليها ويثق بها ولا يلتفت الى غيرها ولا يذهب الى غيرها ولا يلتفت الى توكيله وهو التوكل الخواص على الله سبحانه وتعالى لا يلتفتون الى شيء انما الثقة التامة بالله سبحانه و تعالى.

الرتبة الثالثة: وهي الانقطاع التام حتى عن السؤال الذي ذكرنا مثاله النبي ابراهيم يصل في العروج لله والانقطاع لله فيسلم أمره كل ميت على المغتسل لا يلتفت الى شيء كأنه يقلب تقليبا يمينا ويسارا متكلا على الله تماما وهو ما يكون عند خواص الخواص وفي حالات نادرة و ليس دائما كالنبي إبراهيم.

قوله تعالى:" ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" التجئ شعيب إلى الله سبحانه وتعالى وطلب أن يفتح الله بينه وبين قومه بمعنى يحاكم و يقاضي بينه وبين قوم،" افتح بيننا وبين قومنا" يعني اجعل بيننا فاصلا واكشف الحقائق وجعلنا في مأمن منهم.